وفى شعر الجاهلية – مثلا – نموذج لشخصية الشاب طرفة بن العبد ، وشخصية الكهل حاتم بن عبدالله ، وشخصية زهير بن أبى سلمى ، وكلٌ منهم موصوف فى شعره على حقيقته ويزيد على ذلك أنه واصف صادق للقيم الأخلاقية كما تواضع عليها المجتمع فى عصره ، وكما يتمنى أن تسود بين الناس كافة .

لم يُعمر طرفه طويلا و لم يجاوز السادسة والعشرين إذا أخذنا بقول أخته فى رثائه ، ونشأ فى بيت من بيوت النسب العريق ولكنه نشأ يتيما فقد أباه وهو طفل صغير ، فلم ينل من أعمامه كل حقه وابتلى بالظلم والرياء بين أهله الأقربين وعشيرته ، فركب رأسه واستقل برأيه وذهب يغامر فى الحياة ولا يبالى الموت إذا عاش عيشة النعيم ومات ميتة الكريم .

ألا أيّهذا اللائمى أشهد الوغـى
وأن أحضر اللذات ، هل أنت مُخلدى ؟

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتى
فدعنى أبادرها بما ملكت يـدى

وإذا خوفوه بالعمر القصير قال : «ماأقرب اليوم من غد» .. أو قال إن العمر طال أو قصر «كالحبل الذى يربط به البعير وطرفه الآخر فى يد القدر لا يدرى متى يجذبه منه» .

وعلى كثرة الاهتمام بالأخبار فى الصحراء – لأن الأخبار ترتبط بالحياة والموت والأمن والفزع – لم يكن طرفة يبالى أن يسأل عن